"رهان على ضمير وطن" في المهرجان اللبناني للكتاب
وتكريم أبي ضاهر "الكتابة خمرته اليومية"



المتحدثون في ندوة كتاب "رهان على ضمير وطن".

ماريا الهاشم
2012-03-15

"رهان" المهرجان اللبناني للكتاب - أنطلياس كان أمس على كتاب فريد شهاب "رهان على ضمير وطن" الذي عُقدت ندوة حوله، تلاها تكريم الشاعر جوزف أبي ضاهر.

عن صاحب الرهان، قال الدكتور الياس كساب إنه "مبدع من وطن الأرز، راهن على إنشاء مؤسسة تدوم وتتفتح فيها المواهب والطاقات، ويشعر كل فرد فيها أن الكفاءة هي المعيار الذي يحكم بعيداً من المحسوبية وعبادة الأشخاص".

"شخصياً أوافق الكاتب على أن أحداثاً وتطورات عديدة تعاقبت، حالت دون بناء هذا الضمير الجامع" قال نعمة افرام الذي رأى أن شهاب "وضع في كتابه خطة خمسية تطاول تحويل مواردنا المائية إلى مصدر دائم للعوائد". إلا أن "ما نراه اليوم على أرض الواقع، هو احتكار شبه كلي للطبقة السياسية لعملية التأثير في سير الأحداث. هكذا تسيّست كل الملفات وعقم كل ما هو خصب ودنس كل ما هو محرّم. ولهذا السبب نواجه اليوم أزمة وجودية لم نشهد لها مثيلاً في تاريخنا. اقتصادنا ينزف... ورغم هذه الصورة القاتمة، هناك دائماً بصيص نور آت كما أشار شهاب... أوافقه على أن يكون المشروع الاقتصادي الاجتماعي هو المشروع السياسي الأول لقيامة لبنان من محنته، ولا شيء يعلوه أهمية. نعم، السياسة يجب أن تكون في خدمة الاقتصاد، لا العكس". وانتقد الطاقم السياسي الذي "تعميه مصالحه، وموجات آذانهم مقفلة صمّاء. وهي لا تلتقط الذبذبات التي يبثّ عليها اقتصادنا الوطني".

وقال الأمين العام للمنتدى القومي العربي الدكتور زياد حافظ عن الكتاب: "هو في آن واحد صرخة وجع وآلام ونداء وتفاؤل بالمستقبل، بل هو فعل إيماني بامتياز، وهذا عمل نادر في هذه الأيام... إن ما شدّني فيه محاولته لرؤية سياسية وإن لم يلفظ هذه الكلمة. الكتاب هو مشروع أكثر منه محاولة بالمفهوم التقليدي في الاقتصاد". أضاف: "يتساءل شهاب لماذا يصعب على اللبنانيين اعتناق الضمير الوطني في لبنان بينما يستوعبونه بسرعة في بلاد المهجر. فذلك الانتماء لا يزال ناقصاً في رأيي ورأيه بسبب العصبيات الفرعية التي تطغى على الولاء للوطن... الأهم في ما جاء به شهاب هو التركيز على الضمير الوطني الذي يختزل فكرته عن لبنان".

تكريم أبي ضاهر

"الطفل المتقدّم في السنّ" جوزف أبي ضاهر، هكذا وصفه حنا أبي حبيب مضيفاً: "سيرة مكرّمنا تسدّ عليك الطرق لاتساعها وتنوّع شعابها، فتحار من أين تبدأ، وتحاصرك فيها دنى الأدب والشعر والرسم والصحافة والمسرح والإذاعة والتلفزيون، حتى ليخيّل إليك أن صاحبها مجموعة أشخاص في شخص واحد، صهرها في بوتقة ذاته".

جوزف أبي ضاهر لا يزال يحلم منذ 60 عاما بكتابة مغايرة، ومنذ بداية الطريق تعثّرت أنامله صدفةً بالمحابر. ووجد فجأة أنّ تلك الأنامل تقطُرُ حبراً، وأنّ محبرته ليست كسائر المحابر، وأنّ لونها ليس كسائر الألوان... هذا عصاميٌ من الطراز الأوّل، ومنذ لحظة اصطدامه بالمحابر قرّر أن يجعل من هذا الاصطدام منعطفاً، ومن مهنة الكتابة نهج حياة"، قال الدكتور أمين ألبرت الريحاني.

ووصف شعره بالـ"جسد البرّي، رائحتُه من رائحة الحقول، ماؤه من شتاء تشرين، وجمرُه من وهج كانون، أمّا كلامه فمن عطر النرجس وزهر البيلسان... تعابيره كلغته بيضاء، ولغته كروحه شفّافة تتخذ شكل الهيولى لتتفجّر صوراً، وأخيلةً، ومعاني خلف المعاني، واستعارات خلف الاستعارات".

وتابع: "يعرف أبي ضاهر كيف ومتى يستقيل من ذاته ليعود ويدفعها في كلّ اتجاه بعد أن يزوّدها طاقة خلاقة لا تعرف سبباً، كما لا تعرف حدودا. إنه مجبول بالكلمة... يغتسل بشلال تعابيره وصُوَره. يغتسلُ كلّ لحظة من دون أن يدري، فهو باقة أريج يفوح عطرها على الدوام... أبي ضاهر فتى ستيني يسكنه روح شاعر ونفَس شاعر. ويحلو له أن ينثر لغته الملوّنة على بيدر حياته، وأن ينفخ في كلماته ويذرّيها في الهواء، ليطير منها الزؤان، فلا ينزل على بيدره سوى حبّات متوهّجة من القمح المذهّب؛ وتعقِد العصافير مؤتمرها المغرّد على ذلك البيدر، لتتناول قوتها اليوميّ المقدّس".

ما يحبّ الريحاني في أبي ضاهر "ميزة لافتة" هي أنه "يبثّ القول الجميل في شاعريّة وخفَر، وهذا الخفر من الطراز الرفيع الذي قلّ وندر لدى الكتّاب والشعراء اللبنانيّين ... مع هذا كنت أتمنى لو يعتصر نصّه في بعض الأحيان، ويسقط بعض نوافله، ولا يبقي سوى ما يعادل الروح بألَقه، وتألّقه، وخفره النبيل الشفّاف فلا يرضى سوى بنصّ قابل للتناصّ، أي بنصّ ينطوي على حال روحيّ صار كلمة، لا بكلمة تبحث عن حالها الروحيّ".

"هكذا تمكّن أبي ضاهر من أن يحوّل حبر الكتابة خمرته اليوميّة"، خلص الريحاني، مختتما أن "أنامل أبي ضاهر باتت تعمل اليوم، من دون وعي منها، سعياً وراء إبداع يُلتَهَمُ مع الخبز اليومي، ويتجدّدُ مع كلّ إشراقة شمس، ويتصدّر مؤتمر العصافير، ويتدفّق من نبع الحقيقة، ويُقبِل من حقول السنابل الذهبيّة، معانقاً ماء الحياة بسحر لافت، وصفاء أخّاذ، وخفر سحريّ مقدّس".

بالعامية تكلّم أبي ضاهر على "حبّة قمح" قائلاً: "أنا بـ هالحظه مشغول وعم قول لـ حالي: يا ريت. يا ريت الـ عطاني حبّة القمح بعدو موجود ت إركض لعندو، إغمرو وشدّ، وبوّس كفوف إيديه... وإرجع".